بريق بلا صوت

فى صباح اليوم السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٤٥ ، وفى الساعة الثامنة وخمس عشرة دقيقة تماماً بالوقت اليابانى ، وفى اللحظة التى لاح فيها بريق القنبلة الذرية فوق هيروشيما ، كانت الآنسة توشيكو سازاكى ، وهى كاتبة بادارة مستخدمى مصانع الصفيح لآسيا الشرقية ، قد جلست على مقعدها فى إدارة المصنع والتفتت برأسها ، تتحدث إلى الفتاة التى تجاورها . وفى هذه اللحظة كان الدكتور ماساكازو فوجيى قد تربع فى رواق مستشفاه الخاص ، ليقرأ جريدة آساهى التى تظهر فى بلدة أوزاكا ، وكان هذا المستشفى يطل على أحد الأنهار السبعة التى تتفرع من نهر كبير على مقربة من مصبه وتقسم مدينة هيروشيما . ووقفت السيدة هاتسويو نكامورا وهى أرملة ترزى أمام نافذة مطبخها ترقب جاراً يهدم داره لأنها تعترض طريق حارة افتتحت للوقاية من حريق الغارات الجوية . وكان الأب فيلهلم كلاينسورج ، وهو قس يسوعى ألمانى ، قد اتكا وهو بملابسه الداخلية على سرير صغير فى الدور الأعلى من منزل البعثة الكاثوليكية الذى يتألف من ثلاث طبقات وهو يقرأ مجلة يسوعية اسمها « أنباء الزمن » . وكان الدكتور تيروفومى سازاكى أحد الجراحين الشبان فى مستشفى الصليب الأحمر بالمدينة ، وهو بناء حديث واسع الأرجاء ، يسير فى طرقات المستشفى ، وفى يده نموذج من دماء مريض ليختبره بمخبر فاسرمان . وكان القس كيوشى تانيموتو ، وهو راعى الكنيسة المثيودية بهيروشيما ، واقفاً على باب رجل ثرى بحى كوى ، وهو الحى الغربى من المدينة ، وقد تهيأ لينزل

متاعاً من عربة يد بعد أن نقله من المدينة خوفاً من وقوع غارة بطائرات ب ٢٩ الضخمة ، وكان جميع أهل هيروشيما يتوقعون مثل هذه الغارة . ولقد قتل بالقنبلة الذرية مائة ألف من السكان ، وكان هؤلاء الستة بين الذين نجوا منها وهم لا يزالون فى دهشة لبقائهم أحياء ، بعد أن مات هذا العدد العظيم . وكل واحد منهم يبدى أسباباً صغيرة أتاها مصادفة أو عن قصد — خطوة فى الوقت الملائم أو قراراً بالدخول إلى البيت أو ركوب مركبة بدل الأخرى — وهى التى أدت إلى نجاته . وكل واحد منهم يعلم أنه بنجاته قد عاش حياته أكثر من عشر مرات ، وأنه رأى من الموت أكثر مما كان ينتظر أن يراه ، ولكنهم فى وقت هذا الحادث لم يكونوا يعرفون شيئاً .

قام مستر تانيموتو القس من نومه فى الساعة الخامسة من صباح ذلك اليوم . وكان وحده فى دار الكنيسة ؛ لأن زوجته انتقلت للاقامة بضع ليال عند صديقة لها مع طفلهما الذى يبلغ سنة من عمره إلى بلدة أوشيدا وهى ضاحية فى الشمال . ولم يسلم من المدن الهامة باليابان غير مدينتين : كيوتو وهيروشيما من غارات الطائرات الضخمة التى يحب أن يسميها اليابانيون ب — سان أو مستر ب فى مزيج من الاحترام والألفة الأسيفة ، وهى الطائرات المعروفة باسم ب — ٢٩ . وكان مستر تانيموتو كجميع جيرانه وأصدقائه يكاد يعتريه المرض بسبب قلقه . فلقد بلغته أنباء مفصلة لا تبعث على الطمأنينة عن الغارات الضخمة على بلاد كورى وايواكونى وتوكوياما وغيرها من المدن القريبة . وكان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن دور هيروشيما لا يلبث أن يجئ ، ولم يطعم من النوم إلا قليلا فى الليلة السابقة بسبب التحذيرات العديدة من الغارات الجوية . ولقد كانت هيروشيما تتلقى هذه التحذيرات فى كل ليلة تقريباً منذ أسابيع ؛ لأن طائرات ب — ٢٩ اتخذت بحيرة بيوا الواقعة إلى الشمال الشرقى من هيروشيما ملتقى للطائرات . ومهما تكن المدن التى يرغب الأمريكيون فى ضربها بقلاعهم الضخمة فان هذه القلاع كانت تطير فوق الساحل على مقربة من هيروشيما . ولقد صار أهل هذه المدينة بسبب الانذارات الكثيرة ، مع الاستمرار فى الامتناع عن ضربها بطائرات ب — ٢٩ ، مهدى الأعصاب، وانتشرت الشائعات بينهم بأن الأمريكيين يعدون شيئا خاصاً لهذه المدينة .

ومستر تانيموتو هذا رجل ضئيل الجسم سريع الحديث والضحك والبكاء ، وشعره الأسود طويل شيئاً ما ، وقد مشطه على الجانبين ، و بروز عظام جبهته فوق حاجبيه وصغر شاربيه وفمه وذقنه مما يجعل له منظراً عجيباً هو مزيج من الكهولة والشباب ، وكأنه صبي و إن كان حكيما ، ضعيف ولكنه شديد . وهو يتحرك فى عصبية وسرعة ، ولكنه يقاوم هذا التسرع بما يدل على حيطة وتفكير . وقد أظهر حقا هذه الصفات فى الأيام القلقة التى سبقت سقوط القنبلة . فهو فضلا عن حمله امرأته على المبيت فى أوشيدا قد نقل جميع المتاع الذى يمكن نقله من كنيسته التى تقع فى حى آهل بالسكان ، معروف باسم ناجاراجاوا ، إلى منزل صاحب مصنع لحرير الريون فى كوى التى تبعد نحو ميلين من وسط المدينة ، وكان مستر ماتسوى صاحب هذا المصنع قد فتح داره الواسعة لعدد كبير من الأصدقاء والمعارف كى ينقلوا إليها ما يريدون أن يكون بمنأى عن المساحة التى يحتمل أن تضربها الطائرات . ولم يجد مستر تانيموتو مشقة فى نقل الكراسى وكتب التراتيل ونسخ التوراة وتحف المذبح وسجلات الكنيسة على عربة يد بنفسه ، ولكن نقل مفاتيح الأرغن والبيانو الصغير كانت تتطلب شيئاً من المساعدة ، ولقد ساعده فى اليوم السابق صديق له اسمه ماتسو فى نقل البيانو إلى كوى ، ووعد فى هذا اليوم أن يساعد بدوره مستر ماتسو فى نقل متاع ابنته ، وهذا هو السبب فى أنه استيقظ مبكراً

أعد مسز تانيموتو طعام الفطور لنفسه وكان يشعر بالتعب الشديد ، فقد أثر فيه مجهود نقل البيانو فى اليوم السابق ، وليلة قضاها بغير نوم ، وقلق أسابيع ، وعدم التوازن فى طعامه ، وهموم أهل كنيسته ؛ فكانت هذه المتاعب مجتمعة مما جعله غير صالح لما كان يقدر عمله فى ذلك اليوم . وكان هناك شئ آخر ؛ فقد درس مستر تانيموتو اللاهوت فى كلية إمورى ببلدة أتلانتا بولاية جورجيا ، وتخرج فى الكلية سنة ١٩٤٠ ، وكان يحسن التكلم بالانجليزية كل الاحسان ، و يرتدى ملابس أمريكية ، ويتصل بالمراسلة بأصدقاء أمريكيين إلى الوقت الذى ابتدأت فيه الحرب . وبين أناس تملكهم الخوف من التجسس — وربما كان هذا الخوف أيضاً قد ملك عليه حواسه — صار مركزه يزداد صعوبة . لقد استجوبه رجال الشرطة مرات عدة ، وسمع قبل ذلك بعدة أيام أن رجلا ذا نفوذ يعرفه اسمه مستر تانا كا وهو ربان سفينة من سفن شركة

تويو كيسن كايشا أحيل على المعاش ، وهو رجل يكره المسيحيين ، واشتهر فى هيروشيما بأنه يحب أن يظهر مظهر المحسن وأنه رجل مستبد ، قال عنه إن مستر تانيموتو يجب ألا يؤتمن . ولقد أراد مستر تانيموتو أن يظهر للناس أنه على العكس يابانى مخلص ، فتولى رياسة جمعية الجيران المحلية المعروفة باسم تونار يجومى . ولهذه الجمعيات نشاط فى نواح عدة ، وذلك مما زاد فى أعماله التى كان من بينها تنظيم الوقاية من الغارات لنحو عشرين أسرة .

قبل الساعة السادسة من الصباح خرج مستر تانيموتو قاصداً دار مستر ماتسو ، فرأى أن الحمل الذى سينقلونه هو « تانسو » أى صندوق يابانى كبير ملئ بالملابس وأمتعة البيت . وسار الرجلان فى طريقهما ، وكانت السماء فى ذلك الصباح صافية والجو حاراً حتى لينذر بيوم عصيب فى حره . وبعد بضع دقائق من سيرهما رنت صفارة الانذار بغارة رنيناً طويلا مما يدل على اقتراب طائرات ، ولكنه يدل أهل هيروشيما على أن الخطر ليس كبيراً ؛ لأن الصفارة كانت ترن فى كل صباح فى نحو ذلك الوقت عندما تمر طائرة أمريكية لمراقبة الجو على هذه المدينة . وظل الرجلان يجران العربة ويدفعانها فى شوارع المدينة . ومدينة هيروشيما تنبسط كالمروحة ، ويقع أكثرها على الجزر الست التى تتألف من الأفرع السبعة المتفرعة من نهر أوتا . وتشمل الأحياء التجارية والغاصة بالسكان منها نحو أربعة أميال مربعة فى وسط المدينة ، وفيها يقيم ثلاثة أرباع السكان . ولقد نقص عدد السكان على أثر عدة نظم وضعت لاخلاء المدينة . فبعد أن بلغ عدد سكانها فى أثناء الحرب ٣٨٠ ألف نزل إلى نحو ٢٤٥ ألف . وكان يحيط بالمدينة ويشغل أطرافها مصانع وضواح مليئة بالسكان . وإلى الجنوب منها تقع الجمارك وميناء جوى وبحر داخلى ملئ بالجزر ، ويقوم على جوانبها الثلاثة الأخرى عدد من الجبال . اخترق تانيموتو ومستر ماتسو الأحياء المليئة بالحوانيت وقد أخذت تغص بالناس ، ثم عبرا نهرين وأخذا يسيران فى شوارع كوى المنحدرة ليصعدا فيها إلى الأطراف والتلال . وعندما كانا يصعدان فى هذا الوادى بعد أن بعدا عن الدور المتجمعة ، أطلقت الصفارة تعلن زوال الخطر . (فلقد رأى حراس الرادار اليابانيين ثلاث طائرات فقط فظنوا أنها جاءت للاستطلاع .) وكان دفع عربة اليد إلى دار صاحب المصانع متعباً . فلما تمكن الرجلان من الدخول إلى ساحة الدار وبلغا إلى الدرج الأمامية وقفا قليلا

ليستريحا . وكان أحد جوانب الدار بينهما وبين المدينة ، وكانت هذه الدار مثل أكثر الدور فى ذلك القسم من اليابان تتألف من إطار خشبى وحوائط خشبية تحمل سقفاً ثقيلا من الآجر . ولقد ملئت قاعتها الأمامية بالمراتب والملابس ، وكان منظرها كغارة وجوها منعش ، مليئة بالوسائد المريحة . وأمام الدار إلى اليمين من الباب الأمامى توجد حديقة كبيرة منظمة صخرية ، ولم يكن فى الجو صوت طيارات ، وكان الصباح ساكناً والمكان رطباً لذيذاً .

ثم برق فى الجو ضوء خاطف عابراً السماء . ويذكر مستر تانيموتو تماماً أن البريق سار من الشرق إلى الغرب ومن المدينة نحو التلال وكأنه قطعة من الشمس . ولقد كان لهذا البريق تأثير كبير فى نفس كل من مستر تانيموتو ومستر ماتسو إذ استولى عليهما الخوف ، وكان أمام كل منهما وقت لهذا التأثير (لأنهما كانا بعيدين بنحو ٣٥٠٠ ياردة أو ميلين من مركز الانفجار) فجرى مستر ماتسو قاطعاً الدرج الأمامية ودخل إلى البيت وغاص بنفسه بين الوسائد حيث دفن نفسه فيها . وأسرع مستر تانيموتو بأربع أو خمس خطوات ورمى بنفسه بين صخرتين كبيرتين فى الحديقة وقد لصق بجسمه فى إحدى الصخرتين . وإذ كان وجهه غائصاً فى الصخرة فانه لم ير ما حدث ، ولكنه شعر بثقل فجائى . ثم سقطت عليه ألواح وأجزاء من الخشب وقطع من الآجر ولم يسمع أى صوت . (ولا يذكر أحد فى هيروشيما أنه سمع أى صوت للقنبلة ، ولكن صياداً فى البحر الداخلى يسكن كوخاً بجزيرة على مقربة من توزو وكانت تقيم فيها معه حماة مستر تانيموتو وأخت زوجته ، رأى هذا البريق وسمع انفجاراً هائلا ، وهو يبعد نحو عشرين ميلا عن هيروشيما . ويقول إن هذا الرعد كان أكبر مما سمعه عندما ضربت القلاع الطائرة ب — ٢٩ بلدة إيواكونى وهى تبعد عنه خمسة أميال فقط .)

وعندما جرؤ مستر تانيموتو على رفع رأسه رأى أن دار صاحب المصنع قد انهارت . ولقد تبادر إلى ذهنه أن قنبلة مباشرة سقطت عليها . وارتفعت سحب من التراب حتى أحاط به ما يشبه الشفق ؛ وجزع جزعاً شديداً حتى إنه لم يفكر تلك اللحظة فى مستر ماتسو وهو تحت الأنقاض . وجرى إلى الشارع ، ولاحظ وهو يجرى أن الحائط المقام حول الحديقة والدار وكان من الأسمنت قد مال إلى الداخل لا إلى الخارج . وأول شئ رآه فى الشارع شرذمة من

الجنود ، كانت تحفر فى التل المواجه ، حفرة من إحدى آلاف الحفر التى يظهر أن اليابانيين كانوا عازمين على مقاومة الغزو بها ، يدافعون من تل إلى تل ويبذلون حياتهم ذماءً بعد ذماء . وكان الجنود خارجين من الحفرة التى كان يجب أن تقيهم شر الطائرات ، ولكن الدماء كانت تسيل من رءوسهم وصدورهم وظهورهم ، وكانوا ساكتين وقد استولى عليهم ذهول .

ولقد أظلت المدينة ما يشبه غمامة محلية من التراب ، فاذا النهار ظلام من فوقه ظلام .

ولقد أعلن مذيع محطة الراديو فى المدينة فى الليلة السابقة لإلقاء القنبلة ، وفى نحو منتصف الليل ، أن نحو مائتين من القلاع الطائرة ب — ٢٩ تقترب من جنوب هونشو ؛ ونصح سكان هيروشيما بأن ينزحوا إلى الأماكن التى اتخذت لوقايتهم . وكانت السيدة هاتسويو نكامورا أرملة الترزى وهى تسكن فى الحى المسمى نبورى — تشو ، والتى اعتادت منذ زمن بعيد أن تؤمر فتطاع ، قد نقلت أولادها الثلاثة — توشيو وهو صبى فى العاشرة من عمره ، وبيكو وهى بنت فى الثامنة من عمرها ، ومييكو وهى طفلة فى الخامسة من عمرها — من فراشهم ، وألبستهم ملابسهم وسارت بهم إلى المنطقة الحربية بميدان الاستعراض الشرقى على الطرف الشمالى الشرقى للمدينة ، وهنالك فرشت بعض الحصر وانطرح الأطفال عليها وناموا حتى الساعة الثانية صباحاً ، عندما استيقظوا من ضجيج الطيارات وهى تمر فوق هيروشيما . فما إن مرت الطيارات حتى عادت السيدة نكامورا بأطفالها إلى دارها فوصلوها بعد منتصف الساعة الثالثة بقليل ، ثم أدارت الراديو لتسمع الاذاعة ، فاذا به لسوء حظها كان يذيع إنذاراً آخر . فلما نظرت إلى أطفالها ووجدت شدة الاعياء الذى ارتسم عليهم ، وفكرت فى عدد المرات التى انتقلت فيها إلى ميدان الاستعراض الشرقى فى الأسابيع الماضية بغير جدوى ، قررت بالرغم من تعليمات الراديو أنها لا تستطيع الانتقال مرة أخرى . فوضعت أولادها تحت أغطيتهم على الأرض ، ورقدت هى نفسها فى الساعة الثالثة صباحاً ، وأطبق عليها النوم للحال حتى أنها لم تسمع أصوات الطيارات عند مرورها فيما بعد .

واستيقظت على صوت الصفارة فى الساعة السابعة ، فنهضت وارتدت ملابسها

سريعاً ، وأسرعت إلى منزل مستر تكاموتو رئيس جمعية الجيران المحلية . وسألته ماذا تفعل ؟ فقال إن عليها أن تلزم دارها إلا إذا سمعت صفارة تحذير ملحة ، وهى عبارة عن نذير صفارة متقطع . فعادت إلى دارها ، وأوقدت النار فى المطبخ ، وأخذت تطهى شيئاً من الأرز ، وجلست لتقرأ جريدة « شوجوكو » وهى صحيفة هيروشيما الصباحية . وقدتنفستمرتاحةعند ما أعلنت الصفارة ابتعاد الطيارات فى الساعة الثامنة . وسمعت أطفالها يتحركون فذهبت وأعطت كلا منهم حفنة من الفول السودانى ، وطلبت منهم أن يظلوا على وسائدهم إذ أنهم متعبون من السير فى الليل . وكانت تأمل أن يخلدوا للنوم ، ولكن الرجل الساكن تحتها بدأ يدق دقا عنيفاً ويقطع ويصلح من الأخشاب ؛ فلقد كان المجلس البلدى مقتنعاً كل إنسان فى هيروشيما أن المدينة لا بد أن تهاجم قريباً ، وألح على الأهالى بالتهديد والتحذير أن يتموا إنشاء حارات واسعة لاتقاءالحريق . وكان يرجو من ذلك أن يستطاع بهذا الاجراء و بمساعدة الأنهار حصر النيران التى قد تنشأ عن قنابل محرقة . وكان الجار يضحى مترددا بمنزله فى سبيل سلامة المدينة . ولقد أصدر المجلس البلدى فى اليوم السابق أمراً للصالحات جسمانيا من بنات المدارس الثانوية بأن يعاونّ فى تنظيف هذه الحارات ، فابتدأن فى عملهن بمجرد سماعهن صفارة زوال الخطر .

عادت السيدة نكامورا إلى المطبخ ، وألقت نظرة على الأرز ، ثم أخذت تراقب جارها . ولقد تضايقت فى مبدأ الأمر من الضجة التى سببها ، ولكنها عادت فتأثرت لحاله حتى كادت تبكى شفقة عليه . كان هذا الشعور متجهاً بصفة خاصة نحو جارها وهو يهدم داره لوحاً فلوحاً فى زمن كان لا محيص فيه من الدمار . ولكن مما لا ريب فيه أنها كانت تشعر بصفة عامة بشفقة على حال سكان المدينة جميعاً فضلا عن حالتها الشخصية ، فلم تكن حياتها وقتئذ بالسهلة . فلقد التحق زوجها إيساوا بالجيش بعد مولد طفلتها ميكو بقليل ، وظلت مدة طويلة لا تسمع منه أو عنه شيئاً ، إلى أن وصلتها برقية فى ٥ مارس سنة ١٩٤٢ جاء فيها : «لقد مات إيساوا ميتة شريفة فى سنغافورة.» وعلمت فيما بعد أنه مات فى يوم ١٥ فبراير الذى سقطت فيه سنغافورة ، وأنه رقى إلى جاويش ، ولم يكن إيساوا ترزيا ناجحاً ، وكان كل رأس ماله آلة للحياكة من مصانع سانكوكو . وعلى أثر موته ووقف الراتب الذى كان يرسله ، أخرجت السيدة نكامورا

تلك الآلة وبدأت تحيك الثياب بالقطعة . ومنذ ذلك الوقت أخذت تستعين على حياتها وحياة أولادها بالحياكة وإن كان كسبها ضئيلا .

وبينما السيدة نكامورا واقفة ترقب جارها ، إذا بكل ماتراه عينها يضيء ببريق أبيض لا يشبهه شيء مما رأته . ولم تلاحظ ماحدث لجارها ، بل دفعها شعور الأم نحو أولادها فخطت خطوة واحدة (وكانت الدار على بعد ١٣٥ ياردة أو ثلاثة أرباع الميل من مركز الانفجار) وإذا بشيء يحملها وكأنها تطير إلى الغرفة الثانية فوق إطار النوم المرتفع تتبعها أجزاء من دارها .

تناثرت الأخشاب حولها عندما ارتمت على الأرض ، وتساقط عليها سيل من الآجر ، وصار كل ماحولها ظلاماً إذ دفنت تحته . ولم يكن الحطام متراكماً عليها ، فنهضت وتخلصت منه . فسمعت طفلا يصيح : « أنقذيني يا أماه! » ورأت أصغر أطفالها — ميكو التي هي في الخامسة من عمرها — قد دفنت حتى الصدر وهي غير قادرة على الحراك . فأخذت مسز نكامورا تعمل بأظافرها في يأس لتنقذ طفلتها ، ولم تكن ترى أو تسمع شيئاً عن طفليها الآخرين .

وكان الدكتور ماساكازو فوجي في الأيام السابقة للانفجار يتمتع بلذة النوم إلى الساعة التاسعة أو التاسعة والنصف . فهو رجل ثري محب لنفسه وليس لديه عمل كثير . ولكن من محاسن المصادفات أن كان عليه أن يستيقظ مبكراً في ذلك الصباح الذي ألقيت فيه القنبلة ، ليودع إلى المحطة ضيفاً كان نازلا في داره . فاستيقظ في الساعة السادسة . وبعد نصف ساعة خرج مع صديقه إلى المحطة التي لم تكن بعيدة . ومرا على نهرين وعاد إلى داره في الساعة السابعة عند ماكان صوت الصفارة ينذر إنذاراً غير متقطع . وتناول طعام الفطور . وإذ كانت الحرارة شديدة مع أن الوقت كان صباحاً خلع ملابسه الخارجية ، واتجه إلى شرفة الرواق ليقرأ الجريدة . وكان بناء الرواق — بل كل البناء — عجيباً . فلقد كان الدكتور فوجي صاحب منشأة مألوفة لدى اليابانيين ، وهي مستشفى خاص لطبيب واحد . وكان هذا البناء قائماً إلى جانب نهر كيو ومن فوقه إلى جانب الجسر المسمى بهذا الاسم ، وهو يحتوي على ثلاثين حجرة لثلاثين من المرضى وأقربائهم ؛ لأن من عادة اليابانيين إذا مرض شخص وذهب إلى المستشفى ، أن يذهب معه واحد أو أكثر من أعضاء

الأسرة ، ليعيشوا معه ويطهوا طعامه ، ويغسلوا جسمه ، ويدلكوه ، ويقرءوا له ، ويظهروا له عطفهم العائلى الذى بدونه يكون المريض اليابانى تعساً حقا . ولم يكن لدى مستر فوجي أسرّة للمرضى ، بل كان كل مالديه حصير . ومع ذلك كانت عنده جميع الأدوات الحديثة ؛ فلديه آلة لأشعة إكس ، وأداة للدياترمى ، ومعمل للبحوث العلمية مبنى بالآجر وهو على استعداد تام . وكان بناء المستشفى قائماً ثلثاه على الأرض وثلثه على قنطرة فوق نهر كيو المتغير بالمد والجزر ، وهذا الجزء المعلق فوق النهر من البناء هو الذى يعيش فيه دكتور فوجي ؛ وهو ذو منظر عجيب ؛ ولكنه كان فى الصيف رطباً . وكان من الرواق لا يشرف على مركز المدينة ، ولكنه يرى النهر وقوارب النزهة وهى ذاهبة جائية وهو منظر مبهج . ولقد كانت تمر أحياناً بالدكتور فوجي لحظات قلقة حين يرتفع نهر أوتا وفروعه فيفيض . ولكن يظهر أن القنطرة كانت من القوة بحيث بقى البناء سليما .

كان دكتور فوجي فارغاً من العمل نسبياً منذ شهر ؛ لأنه أخذ يصرف مرضاه عندما رأى فى يولية ، أن عدد المدن التى سلمت فى اليابان أخذ يقل شيئاً فشيئاً ، وأن هيروشيما لابد أن تصبح هدفاً فى القريب . فقد رأى أنه فى حالة حدوث نيران لا يستطيع إنقاذ المرضى . ولذلك لم يبق لديه يومئذ غير مريضين : امرأة من يانو جريحة فى كتفها وشاب فى الخامسة والعشرين فى دور النقاهة من حروق أصيب بها ، على أثر ضرب مصنع الصلب الذى كان يعمل به وهو على مقربة من هيروشيما . وكان لدى دكتور فوجي ست ممرضات للعناية بمرضاه . أما زوجه وأولاده فكانوا فى مكان أمين ؛ فالزوجة وأحد أبنائه يعيشان خارج أوزاكا ، وولد آخر وبنتان يعيشان فى الريف عند كيوشو . وكانت تعيش معه ابنة أخ وخادمة وخادم ؛ فكان عمله قليلا ؛ ولكنه كان لا يهتم لذلك إذ كان ادخر شيئاً من المال . فكان فى الخمسين من عمره صحيح الجسم ، بادى السرور ، مرتاح البال ، ويحب أن يمضى مساءه فى احتساء شراب الويسكى مع أصدقائه ، على أنه كان يفعل ذلك باعتدال ورغبة فى الحديث . وكان قبل الحرب يقبل على الأنواع الوازدة من اسكتلاندة وأمريكا ، ولكنه كان وقتئذ يكتفى بنوع سنتورى ، وهو خير أنواع الويسكى المصنوعة فى اليابان .

جلس دكتور فوجي متربعاً فى ملابس داخلية على الحصير النظيف المبسوط فى الرواق ، ووضع نظارتيه على عينيه ، وأخذ يقرأ جريدة « أساهى » التى تصدر فى أوزاكا ؛ وكان يحب قراءة أخبار هذه المدينة لأن زوجته هناك . رأى البريق الذى ظهر أمام عينيه — حيث كان يتجه إلى غير مركز المدينة ويقرأ فى جريدة — كأنه ذو لون أصفر براق . واستولى عليه الجزع ، فهمّ أن يقوم من جلسته . وفى تلك اللحظة (وكان على بعد ١٥٠٠ ياردة من المركز) أخذ المستشفى ينحنى من ورائه ، وفى صوت فظيع يسقط فى النهر . وقُذف الطبيب بالحطام وهو على وشك القيام من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ، وكان يضربه من كل جانب ويطبق عليه ، وفقد الاحساس بكل شئ إذ كانت الأمور تتعقد بسرعة ثم أحس بالماء .

لم يكد الدكتور فوجي يشعر بأنه على وشك الموت حتى استيقن أنه لايزال حيا ، وقد أطبقت على صدره خشبتان طويلتان تعارضتا على شكل مثلث ؛ وكان كأنه قطعة من اللحم معلقة بين مقطعين كبيرين للحوم . وقد أمسكت به الخشبتان حتى ليكاد يكون قائماً ، ولكنه لا يستطيع الحراك . وقد بقى رأسه بمعجزة فوق الماء إذ كان سائر جسمه فى الماء . وكانت بقايا المستشفى عائمة من حوله ، وهى خليط عجيب من قطع الأخشاب والمواد التى تعالج بها الآلام ، وكان يحس ألماً شديداً فى كتفه اليسرى وقد فقد نظارتيه .

كان الأب فيلهلم كلاينسورج من اليسوعيين ، فى صباح يوم الانفجار فى صحة غير جيدة ؛ فان الطعام المقدر لليابانيين فى أثناء الحرب لم يكن يكفيهم . وكان أجنبياً فأخذ يؤلمه بازدياد كراهية اليابانيين للأجانب حتى الألمان منهم ؛ إذ صاروا مكروهين بعد هزيمتهم فى وطنهم . وكان الأب كلاينسورج فى الثامنة والثلاثين من عمره ولكن كان له منظر الفتى الذى ينمو سريعاً : فوجهه نحيل ، وحنجرته بارزة ، وصدره مطبق ، وذراعاه طويلتان مرتخيتان إلى جنبه ، وقدماه كبيرتان ، وكان غير منتظم فى مشيته إذ يسير منحنياً قليلا إلى الأمام ويشعر دائماً بالتعب . ومما زاد حالته سوءاً أنه أصيب منذ يومين باسهال مؤلم ملح مع زميل له هو الأب شيزليك ، وقد عزواه إلى طعام الفول والخبز الأسود الذى كانا يضطران إلى أكله . على أن قسين آخرين كانا يشاطرانهما

مسكن البعثة الواقع فى حى نوبورى — تشو — وهما رئيس البعثة الأب لارسال والأب شيفر — لم يصابا بهذا المرض لحسن حظهما .

استيقظ الأب كلاينسورج فى الساعة السادسة من صبيحة اليوم الذى ألقيت فيه القنبلة ، وبعد نحو نصف ساعة — وكان متأخراً قليلا بسبب مرضه — أخذ يتلو الصلاة فى كنيسة البعثة . وهى بناء خشبى صغير على الطراز اليابانى ليست به مقاعد ؛ لأن المتعبدين يجثون على الأرض المغطاة بالحصر على الطريقة اليابانية ، أمام مذبح مزين بالحرائر الفخمة والنحاس والفضة وغيرها من زخارف . وكان المتعبدون فى هـذا الصباح وهو يوم اثنين ، هم مستر تكيموتو ، وهو طالب لاهوت يعيش فى دار البعثة ، ومستر فوكاى سكرتير البعثة ، والسيدة موارانا مدبرة الدار وهى مسيحية شديدة التمسك بدينها ، وزملاؤه من القساوسة . ولما تمت الصلاة وأخذ الأب كلاينسورج يقرأ صلاة الشكر، إذا بصوت الصفارة ينذر ؛ فوقفت الصلاة ، وسار أعضاء البعثة مجتازين الفناء إلى بناء دارهم الكبيرة . وهنالك ذهب الأب كلاينسورج إلى غرفته فى الطبقة الأرضية إلى اليمين من الباب الأمامى ، وارتدى لباساً حربياً كان قد اتخذه عندما كان يعلّم فى مدرسة روكو المتوسطة بكوبى ، وكان يرتديه عند الانذار بالغارات .

وكان من عادة الأب كلاينسورج بعد الانذار الغارة ، أن يخرج ويفحص السماء .وعندما فعل ذلك هذه المرة سر إذ لم ير غير طائرة الاستطلاع التى تطير كل يوم فوق هيروشيما فى مثل ذلك الوقت ، فاقتنع بأنه لن يحدث شئ وعاد فتناول طعام الفطور مع الآباء الآخرين ، وهو مؤلف من قهوة صناعية وخبز أسود ، وكان هذا الطعام فى هذه الأحوال بغيضاً إليه بصفة خاصة . ثم جلس الآباء وتحدثوا مليا إلى الساعة الثامنة ، ثم سمعوا زوال الخطر وذهب كل منهم إلى جانب من البناء : فالأب شيفر ذهب إلى غرفته للكتابة ، والأب شيزلك جلس فى غرفته على مقعد مستقيم ووضع وسادة على معدته لتخفيف الألم وأخذ فى القراءة . ووقف رئيس البعثة الأب لاسال فى نافذة غرفته يفكر . وذهب الأب كلاينسورج إلى غرفة فى الطابق الثالث وخلع ملابسه ماعدا الملابس الداخلية وتمدد على جانبه الأيمن فوق سرير وأخذ يقرأ فى مجلة « أنباء الزمن » .

بعد البريق المخيف — الذى ذكر الأب كلاينسورج فيما بعد أنه ذكره

بشئ قرأه وهو غلام عن شهاب كبير اصطدم بالأرض — وجد الأب وقتاً (إذ كان على بعد ١٤٠٠ ياردة من المركز) ليفكر فى أمر واحد هو: أن قنبلة قد سقطت مباشرة عليهم، ثم استولت عليه مدة ثوان أو دقائق دهشة حتى زايله الوعى.

لم يعرف الأب كلاينسورج قط كيف خرج من الدار، والأمور التالية التى شعر بها هى أنه يسير على غير هدى حول حديقة الخضراوات فى أرض البعثة وهو فى ملابسه الداخلية، وتنزف منه دماء قليلة من جروح صغيرة فى فخذه اليسرى، وأن جميع ماحوله من الأبنية قد انهار ماعدا دار بعثة اليسوعيين التى قام قس اسمه جروبر بتقويتها أكثر من مرة، إذ كان يخشى الزلازل، وأن النهار قد أظلم، وأن السيدة مورانا المدبرة للدار كانت على مقربة منه تردد بلغتها: «فلتشفق علينا يا سيدى المسيح».

كان الدكتور تيروفومى سازاكى جراح مستشفى الصليب الأحمر، وهو عائد بالقطار من الريف حيث يعيش مع أمه إلى مدينة هيروشيما، يفكر فى حلم مزعج رآه فى الليلة السابقة. وكانت دار والدته فى موكايهارا وهى على ثلاثين ميلا من المدينة؛ فهو يقطع ساعتين بالقطار والترام حتى يصل إلى المستشفى. وكان نومه مضطرباً فى تلك الليلة، واستيقظ قبل الوقت المعتاد بساعة وهو يشعر بخمود وشئ من الحمى. وبدا له ألا يذهب إلى المستشفى غير أن شعوره بالواجب حمله أخيراً على الذهاب. وعلى ذلك ركب قطاراً قبل القطار الذى كان يركبه عادة فى الأيام الأخرى. وقد أزعجه الحلم بصفة خاصة لأنه كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ولو أنه سطحى بواقعة فعلية مزعجة. فانه عندما أتم دراسته الطبية فى الجامعة الطبية الشرقية بمدينة بسنجتاو بالصين، وكان فى الخامسة والعشرين من عمره، وهو شاب مثالى، شعر بحزن شديد لقلة الوسائل الطبية فى البلدة الريفية التى تعيش فيها أمه. فأخذ بدون أن يحصل على ترخيص يزور بعض المرضى فى المساء، وذلك بعد أن يشتغل ثمانى ساعات فى المستشفى وأربع ساعات فى التطبيب. ولقد علم حديثاً أن العقوبة على العمل بدون ترخيص شديدة، واستشار فى ذلك أحد الأطباء من زملائه فأنبه وعنفه. ومع ذلك استمر فى علاج الناس. ورأى فيما يراه النائم أنه كان

إلى جانب مريض فى الريف ، فاذا برجال الشرطة والطبيب الذى استشاره يقتحمون الغرفة ويقبضون عليه ويجرونه إلى الخارج ويضربونه ضرباً قاسياً. وفى القطار اعتزم أن يترك العمل فى موكايهارا إذ أحس أنه من المستحيل أن يحصل على ترخيص ؛ لأن السلطات ترى أن الترخيص يتعارض مع واجباته فى مستشفى الصليب الأحمر .

وعندما بلغ نهاية رحلته ركب سيارة من سيارات النقل فى التو .(ولقد قدر فيما بعد أنه لو أخذ قطاره العادى فى ذاك الصباح ، وانتظر سيارة النقل بضعة دقائق كما كان يحدث عادة ، لكان فى مركز المدينة عند الانفجار ولهلك بلا ريب.) فوصل إلى المستشفى فى الساعة السابعة وأربعين دقيقة . ومر على رئيس الجراحين لينبئه بوصوله . وبعد دقائق ذهب إلى حجرة فى الطابق الأول وأخذ بعض الدم من ذراع رجل ليجرى فيه تجربة فاسرمان. وكان المعمل الذى يحتوى على المساخن لاجراء التجربة فى الطابق الثالث . وأمسك بنموذج الدم فى يده اليسرى ، وأخذ يسير وهو مشتت الفكر منذ الصباح ، بسبب حلمه المزعج ونومه القلق ، مجتازاً الممشى الرئيسى إلى السلم . وكان قد جاوز نافذة مفتوحة بخطوة واحدة عندما رأى انعكاس ضوء القنبلة فى الممشى كأنه بريق فوتوغرافى ، فجثا على إحدى رجليه وقال لنفسه فى هدوء لايستطيعه غير اليابانى : « تشجع يا سازاكى ! » وفى تلك اللحظة (وكان البناء على بعد ١٦٥٠ ياردة من المركز) مرت ريح عاصف على المستشفى ، فطارت نظارتاه من وجهه ، وتحطمت قارورة الدم على أحد الحوائط ، وطارت نعله اليابانية من قدميه ، ولكنه لم يصبه شئ غير ذلك ، بفضل المكان الذى كان فيه .

صاح الدكتور سازاكى منادياً رئيس الجراحين ، ثم جرى مسرعاً إلى مكتب هذا الرئيس ، فألفى به جروحاً كبيرة من الزجاج . ولقد صار المستشفى فى فوضى شديدة ؛ إذ سقطت أسقف وحواجز على المرضى ، وانقلبت السرر ،وانخلعت النوافذ إلى الداخل ، فجرح الناس ولطخت الدماء الحيطان والأرض ، وانتثرت الأدوات فى كل مكان . وكان بعض المرضى يجرون صارخين والكثير منهم موتى . (وممن مات زميل للدكتور سازاكى يعمل فى المعمل الذى كان يقصده هذا الطبيب ؛ ومات المريض الذى تركه الطبيب منذ لحظة والذى كان يخشى

أن يكون مصاباً بمرض الزهرى .) وقد ألفى دكتور سازاكى نفسه الطبيب الوحيد الذى لم يصب بأذى .

اعتقد الدكتور سازاكى أن العدو ضرب المستشفى لدى يعمل فيه وحده ، فجاء بضمادات وأخذ يربط جراح أولئك الذين فى المستشفى ، على حين كان فى خارجه وفى سائر أنحاء هيروشيما جميع الأهالى الذين بترت أعضاؤهم والذين هم على وشك الموت يجرّون أنفسهم نحو مستشفى الصليب الأحمر ليلوذوا بهذا المستشفى مما حمل الدكتور سازاكى على أن ينسى حلمه المزعج مدة طويلة .

قامت الآنسة توشيكو سازاكى الكاتبة بمصانع الصفيح بشرق آسيا ، والتى ليست لها قرابة بالدكتور سازاكى ، فى الساعة الثالثة من صباح اليوم الذى ألقيت فيه القنبلة . وكان عليها عمل فى الدار أكثر من العادة ؛ فقد حدث لأخيها الصغير الذى يبلغ من العمر أحد عشر شهراً اضطراب معدى خطير فى اليوم السابق ، فحملته أمه إلى مستشفى الأطفال بتامورا وباتت معه . وكانت الآنسة سازاكى فى نحو العشرين من عمرها وعليها أن تطهى طعام الفطور لأبيها وأخ وأخت ولنفسها . وفضلا عن ذلك — إذ كان المستشفى بسبب الحرب لا يستطيع تقديم طعام — كان عليها أن تعد طعام يوم كامل لأمها وللطفل ، بحيث يستطيع والدها الذى يشتغل فى مصنع لعمل صمامات من المطاط لرجال المدفعية ، أن يأخذ هذا الطعام فى طريقه إلى المصنع . ولقد انتهت من تحضير الطعام وتنظيف أدوات الطهى عندما أشرفت الساعة على السابعة . وكانت الأسرة تعيش فى حى كوى ، ويستغرق الذهاب إلى مصانع الصفيح خمساً وأربعين دقيقة ؛ إذ كانت هذه المصانع تقع من المدينة فى الجزء المسمى كانون — ماتشى . وهى كانت تتولى سجلات المستخدمين فى المصنع . وقد برحت كوى فى الساعة السابعة ، وعندما وصلت إلى المصنع ذهبت مع غيرها من الفتيات من إدارة المستخدمين إلى ردهة المصنع . فان رجلا معروفاً من رجال البحرية ومن مستخدمى المصنع من قبل انتحر فى اليوم السابق بأن ارتمى تحت قطار ؛ وهى ميتة تعد شريفة ، فتسمح باقامة صلاة لذكراه . وكانت هذه الذكرى ستقام فى مصنع الصفيح فى الساعة العاشرة من الصباح .

وقد قامت الآنسة سازاكى ومن معها من الفتيات بما يناسب من ترتيب لهذا الاجتماع ، واستغرق هذا العمل نحو عشرين دقيقة .

عادت الآنسة سازاكى إلى حجرتها ، وجلست إلى مكتبها ، وكانت بعيدة عن النوافذ التى تقع إلى يسارها ، وكان خلفها قمطران طويلان للكتب فيهما جميع الكتب التى توجد فى مكتبة المصنع ، وقد رتبتها إدارة المستخدمين . جلست الآنسة إلى مكتبها ووضعت بعض أشياء فى أحد الأدراج ونقلت بعض الأوراق ، وفكرت قبل الابتداء فى كتابة قوائم المستخدمين الجدد ، وفصل المستخدمين ، وانتقال بعضهم إلى الجيش ، أن تتحدث قليلا إلى الفتاة الجالسة إلى يمينها . وبمجرد أن أدارت رأسها إلى الجهة المعارضة للنوافذ امتلأت الحجرة بضوء يعشى الأبصار ؛ فاضطرب جسمها من الخوف ، وظلت ملازمة مقعدها لحظة طويلة . (وكان المصنع على بعد ١٦٠٠ ياردة من المركز .)

سقط كل شئ ، وأغمى على الآنسة سازاكى ، وانهار السقف فجأة وتناثرت الأخشاب من فوقها . وسقط الناس الذين كانوا فى الطابق الذى فوقها وقد خر عليهم السقف من فوقهم . ولكن أهم شئ حدث لها أن انحنى قمطرا الكتب اللذان كانا من ورائها إلى الأمام ، وقذف بها مايحتويانه إلى الأرض ، وانثنت رجلها اليسرى انثناء فظيعاً حتى انكسرت تحتها . وفى مصنع الصفيح هذا وفى أول لحظة من عصر القنبلة الذرية كانت الكتب تحطم مخلوقاً بشرياً .